التوسل والوسيلة
بين فهم السلف وفعل الخلف

للشيخ العلامة محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مراجعة

لجنة العناية بموروث الشيخ العلمي

برئاسة فضيلة الشيخ صالح السحيمي -حفظه الله-

يوزع مجانا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:. فإن موضوع **التوسل والوسيلة** من المواضيع التي شغلت كثيراً من الناس، واختلفوا فيها اختلافاً كبيراً وتباينوا فيها تباينًا عظيماً، وخاصة التوسل بجاه النبي ﷺ والصالحين، وكانوا فيه ما بين الإفراط والتفريط والاعتدال ممن سار على نهج السلف.

لذلك فقد رأت لجنة العناية بموروث الشيخ مُحَمَّد أمان بن علي الجامي العلمية أن تستل هذا الموضوع الذي كان جزءاً من محاضرة للشيخ ضمن شرحه للعقيدة الواسطية؛ ليخرج في شكل كتيب صغير يسهل على القارئ حمله والاطلاع على ما فيه من فوائد ووسمته بـ **التوسل والوسيلة(بين فهم السلف وفعل الخلف)** _على أن يوزع مجاناً دون مقابل_.

وقد أضافت اللجنة بعض المعلومات والتعديلات؛ لكون أصل الكتيب مادة شفهية تم تحويلها إلى مادة مكتوبة وأضيف لها بعضاً من الكلمات التي تلزم في المكتوب ولا تلزم في المشافهة وجعلت ما أضافته اللجنة بين معكوفين هكذا().

واستبدلت بعض الكلمات بما يناسب المقروء وموافق للمنطوق في المعنى دون الإشارة إليه لاتفاق المعنى.

بالإضافة إلى زيادات من كلام الشيخ عن التوسل في مجموع رسائل الجامي،

الرسالة الثانية[**تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة**]حيث أضيف منها ما يخص التوسل مما لم يتناوله الشيخ في شرح العقيدة الواسطية؛ ليكتمل الموضوع، ويستفيد منه القارئ الكريم.

كما أذن ورثة الشيخ-جزاهم الله خيراً- بطباعته لمن يريد توزيعه مجاناً -بعد التواصل معهم والاتفاق على الطباعة وطرق التوزيع- بشرط عدم التغيير في مضمونه أو الإخلال بما جاء فيه من معلومات، وأن يكون المعتمد في الطباعة النسخة الوحيدة التي أشرفت اللجنة المذكورة عليها.

والله نسأل أن يوفق الجميع لما يحبه و يرضاه.



لجنة العناية بموروث
الشيخ محمد أمان بن علي الجامي
برئاسة فضيلة الشيخ صالح بن سعد السحيمي
حفظه الله وبارك في عمره وعمله.

مقدمة المؤلف

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين وعلى آله وصحبه الميامين، صلاة وسلاماً يدومان سرمداً إلى يوم الدين. أما بعد)

(فإن) التوسل من المسائل التي غُيِّرت فيها المفاهيم، وهذا من واقع المسلمين، من يتصور واقع عوام المسلمين في كل قُطر، وخصوصًا في خارج هذا القُطر (المملكة العربية السعودية) وإن كان هذا القُطر نفسه الذي هو المفروض أن يكون مرجعًا لفهم مثل هذه المسائل، إلا أن هذه المسألة(الخطأ في التوسل) انتشر بين الناس حتى بين بعض المنتسبين إلى العلم.

(وقبل الكلام على ما يقع من أخطاء من الخلف في التوسل وهو مخالف لما كان عليه السلف، نعرض للوسيلة في القرآن).



الوسيلة في القرآن الكريم

الوسيلة في القرآن الكريم بمعنى: التقرب إلى الله بالإيمان والعمل الصالح يقول الله تعالى آمراً المؤمنين(بأسباب قبول الدعاء) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1] أي اطلبوا القرب منه؛ وإنما يكون ذلك بالإيمان بالله وعدم الالتجاء إلىٰ غيره فيما لا يقدر عليه غير المليك المقتدر؛ كرد البصر وإعطاء الولد وإنزال المطر.

ويقول الحق جل وعلا في وصف عباده الصالحين الذين قد يعبدهم بعض الناس من دون الله – وهم براء منهم – كالملائكة والمسيح، يقول الله في وصفهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ

(١) سورة المائدة [٣٥].

﴿مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[1] .فالآية الكريمة تقول لأولئك الغلاة في الصالحين؛ الذين تدعونهم من دون الله عباد أمثالكم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا يدفعون عن أنفسهم ضراً، فضلاً عن أن يفعلوا ذلك لغيرهم؛ بل هم يتقربون إلىٰ الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه؛ لأن عذابه لا يأمنه إلا الخاسرون .

وكان المفروض والصواب أن تتقربوا إلىٰ الله الذي يتقرب إليه هؤلاء الصالحون؛ لأنكم عبيد مثلهم لله الواحد القهار.

أما دعوتكم للصالحين والفزع إليهم عند الحاجة دون الله فخطأ وضلال وظلم"[2].

أنواع التوسل:

و إذا استقرأنا التوسل من الكتاب والسنة بالاختصار (نجده) لا يخرج عن ثلاثة أنواع:

---

(١) سورة الإسراء [٥٧].

(٢) الرسالة الثانية من رسائل الجامي: تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة(ص:١٠٠).

النوع الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته:

وهو أن تسأل الله بأسمائه الحسنى(كما قال تعالى) ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[1] (فتقول):يا أرحم الراحمين، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، هكذا تسأل الله بأسمائه الحسنى، وهذا النوع من التوسل معلوم لدى الجميع و ميسور.

النوع الثاني: التوسل إلى الله والتقرب إليه بالإيمان والعمل الصالح:

(بأن) تتقرب إلى الله تعالى بالإيمان وهذا واجب، ويسميه شيخ الإسلام توسلًا واجبًا[2].

فالتوسل الواجب: أن تتقرب إلى الله بالإيمان الصحيح، وأن تدعو الله بأعمالك الصالحة عند الحاجة، ودليل ذلك معلوم لديكم في قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين أُغلق عليهم باب الغار بعد أن دخلوه ليناموا - وهم من بني إسرائيل (وبني إسرائيل) فيهم الأنبياء وفيهم الصالحون -ولما وقعوا فيما وقعوا فيه من الحرج ومن الضيق وليس في إمكانهم أي سبب من الأسباب المادية، وأي وسيلة لتفتيت تلك الصخرة ليخرجوا، ماذا قالوا؟ هل قالوا: تعالوا بنا نتوسل

(١) سورة الأعراف[١٨٠].

(٢) قال شيخ الإسلام :"التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به". قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة(١/ ٨٧).

بأنبيائنا؟ ما أكثر الأنبياء في بني إسرائيل، لم يفكروا بهذا، وهل قالوا: تعالوا بنا نتوسل بجاه الصالحين، من رجالنا الصالحين؟ وفيهم الصالحون كثير، والأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله، لم يفعلوا ذلك؛ لكن ماذا قالوا؟ قالوا: «إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ» فجعل كل واحد يفكر ويتذكر ما هو ذلك العمل الصالح الخالص لله الذي عمله؟ فتذكر أحدهم بر الوالدين، له أبوان شيخان كبيران يبرهما كأحسن ولد، ومِن برّهِ بهما لا يكاد يتناول طعام العشاء هو وأهله و أولاده إلا بعد أن يتعشى الوالدان، وفي ذات مرة نأى به طلب المرعى لإبله، وطعامهم حليب النوق، فجاء في وقت متأخر من الليل وقد حلب الناقة وحمل الحليب، فإذا هما قد ناما، فلم تطب نفسه أن يوقظهما ويكدر عليهما نومهما، كما لم تطب نفسه أن يشرب هو وأهله وأولاده من ذلك الحليب المهيأ للوالدين، فبات واقفًا على رؤوسهما، (وهو يمسك) الحليب في يده إلى أن أصبح الصبح، فناولهما، فقال: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ»، فنزلت الصخرة قليلًا ودخل لهم الهواء وطمعوا في الخروج، ولكنهم لا يقدرون على الخروج.

"**وأما الثاني** فتوسل إلى الله بالعفة والخوف من الله وبصلة الرحم وملخص قصته : أنه كان له ابنة عم كان يحبها كأشد ما يحب الرجل امرأة راودها، فامتنعت ورفضت طلبه؛ لأنها عفيفة إلى أن ألجأتها الحاجة إليه، فقدم مبلغاً من المال يقدر بمائة وعشرين ديناراً كمساعدة لها وسداً لحاجتها، فطلب منها طلبه بعد هذا

الإحسـان، وألح في الطلـب طبعـاً، فوافقـت علـى تنفيـذ رغبتـه تحـت الحاجـة والاضطرار ونفسها غير مطمئنة من المعصية، فقالت مذكرة : يا عبدالله اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فذكرته فتذكر وخوفته من الله فخاف :﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

فقام من مقعده ذلكم من فوره، مالكاً نفسه، قاهراً شهوته وهواه، فجعل الهوى يجره إلى أسفل ليهوى ويهلك.

أن الهوى لهو الهوان بعينه وصريع كل هوى صريع هوان(٢)

بينما الخوف من الله يجذبه إلى أعلا؛ ليرتفع ويعلو ويقرب من الله، فغلب ثانيهما أولهما ولله الحمد، فسلم الرجل، والحمد لله على سلامته، فقام وهو مرتاح النفس قرير العين فلم يرجع في المبلغ الذي قدمه لابنة عمه؛ بل تركه لها كصلة رحم"(٣).

فتذكر الثالث حفظ الأمانة، (حيث)كان صاحب مال يعمل عنده الأجراء والعمـال، "فأخـذ كـل أجـير أجرتـه وذهـب إلا واحـداً مـنهم، فـترك أجرتـه،

---

(١) سورة الذاريات: [٥٥].

(٢) لم أقف على أصل هذا البيت ولكنه ذكر في شرح الإمام إبراهيم بن إسماعيل على رسالة تعليم المتعلم (ص: ٤٠).

(٣)الرسالة الثانية من رسائل الجامي: تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة(ص:١٠٠).

فذهب"[١].

فهذا التاجر الأمين نَمَّى هذه الأجرة الضئيلة، واشترى منها "الإبل والبقر والغنم" وحافظ عليها، "وبعد مدة طويله جاء فقال له :"أعطني أجرتي". فقال له بكل هدوء: أن ما تراه من الإبل والبقر والغنم من أجرتك؛ لأني نميت لك أجرتك لما طال غيابك، فلك كل ما تراه، ولم يصدقه؛ بل قال له: لا تستهزئ بي يا عبدالله، فقال له: لست مستهزئاً؛ وإنما الواقع ما قلته لك، فسق مالك، فأخذ ماله كله ولم يترك منه شيئاً .

"فقال هذا التاجر الأمين الذي راقب الله: «اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيه» [٢] فافرج عنا ما نحن فيه، فنزلت الصخرة فخرجوا يمشون "[٣].

هكذا أخبرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام، لماذا؟ لنتسلى بها؟! لنحكيها في المجالس؟!(لا) بل لنعمل(بها) كما عملوا.

"هكذا هدوا إلى الطيب من القول وإلى الصواب من العمل.

---

(١) (المرجع السابق)

(٢) رواه البخاري، كتاب: الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل برقم (٢٢٧٢) ومسلم، كتاب: الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، الرقم (١٠٠).

(٣)الرسالة الثانية من رسائل الجامي: تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة(ص:١٠٠).

هذا ملخص قصة أصحاب الغار، فالقصة تحمل معنيين عظيمين.

۞**أولهما: مشروعية التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة**، وهو المعنى الذي من أجله سقت القصة هنا.

۞**وثانيهما: فضل إخلاص العمل لله وحده**؛ لأن الأعمال الثلاثة أو الأربعة التي شملتها القصة لو لم تكن خالصة لله لما تقبلها الله، ولما أجاب دعوة أصحابها عند الشدة، فالإخلاص هو السبب في نجاة العبد ونجاحه في الأولى والأخرى"(١).

فعلى جمهور المسلمين؛ أن يعيدوا النظر في ذلكم المفهوم الخاطئ الشائع بينهم في معنى التوسل، وليس هو من التوسل في شيء؛ بل إن ذلك عبادة محضة، وعليهم أن يدرسوا ما كان عليه سلفهم من الصحابة والتابعين في هذا الباب ونحوه؛ ليفهموا فهمهم، ويتأسوا بهم في عملهم؛ لأنهم خير هذه الأمة بشهادة النبي عليه الصلاة والسلام، لهم إذ يقول عليه الصلاة والسلام : «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**» (٢)

وصدق من قال:" وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في اتباع من

---

(١) الرسالة الثانية من رسائل الجامي: تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة(ص:١٠٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم(٢٦٥٢) ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم رقم (٢٥٣٣).

خلف"[(١)(٢)].

فإذا اشتدت بكم الأمور لا تقولوا: عليكم بأصحاب القبور، كما تقول المتصوفة؛ ولكن قولوا: ياالله (و)تذكروا ماذا فعلتم؟ راجِعوا صفحات أعمالكم، إن وجدتم فيها عملًا خيِّرًا خالصًا لوجه الله؛ ادعوا الله بذلك العمل، وسوف يستجيب الله دعوتكم.

يريد النبي عليه الصلاة والسلام أن نعمل كعملهم، لا نتعلق بالأشخاص، ولكن نتعلق بالله ونسأل الله بأعمالنا التي وفقنا الله إليها، (ولا يكون تعلقنا) **بالنوع الثالث** _الذي هو محل الإشكال_(وهو) **التوسل بالصالحين**:

فقد تقرأ في بعض الكتب التوسل بالصالحين، هذا العنوان يحتاج إلى شرح، ربما يُفهم من قولك: التوسل بالصالحين التعلق بذواتهم، أو التوسل بجاههم وبركتهم وما لهم عند الله، كل ذلك لا يُنكر، ولكن غير وارد.

غير وارد أن تتوسل إلى الله بذوات الصالحين من الأنبياء (عليهم السلام ولا)ومن بعدهم.

وغير وارد أن تتوسل إلى الله بجاه الأنبياء، ولو أكبرهم جاهًا وأعظمهم منزلة عند الله، إمام المرسلين، نبي الرحمة، مُحَمَّد ﷺ، لا يجوز أن تقول: اغفر لي! أعطني

---

(١) يقول الشيخ مُحَمَّد أمان الجامي بعد أن ذكر هذا البيت وأنه في جوهرة التوحيد:" هكذا انطقه الله بالحق" وقصده صاحب الجوهرة وهو أشعري.

(٢)الرسالة الثانية من رسائل الجامي: تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة(ص:١٠٠).

بجاه نبيك!.

ما معنى التوسل بجاهه ﷺ ؟

هذه وساطة، كأنك تقول لأجل فلان، ولخاطر فلان، ولكون فلان له عندك منزلة، هذا نوع من الوساطة وليس بتوسلﷺ، انتبه هذه المسألة خطيرة جدًّا، ولكن التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام له معنى.

لذلك يجب أن نتعلم لغة الصحابة وعُرْف الصحابة ونعمل كعملهم، كيف كانوا يتوسلون بالنبي عليه الصلاة والسلام؟ وبعد وفاته ماذا كانوا يفعلون؟.

انظروا إلى فعل عمر رضي الله عنه في عام الرمادة لنربط الموضوع بالقصة، عمر بن الخطاب الصحابي الملهم الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: «**قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ**»[(١)].

وفي رواية قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ، يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ**»[(٢)] .

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه برقم (٣٦٨٩)ومسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه برقم (٢٣ - (٢٣٩٨)

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه برقم =

وقال ﷺ: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**»(١).وعَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ**(٢). وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَطْرَافِي، فَأَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ». فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «العِلْمَ»**(٣).

وجاء الوحي بموافقته في أمور كان يراها عمر رضي الله عنه، قَالَ رضي الله عنه :وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾(٤) وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ،

(٣٦٨٩)

(١) رواه أحمد برفم (١٧٤٠٥) والترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ،باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله برقم (٣٦٨٦) والحاكم برقم (٤٤٩٥)، وحسَّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٦٤٦ برقم (٣٢٧)

(٢) رواه الترمذي كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ،باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم (٣٦٨١)، وأحمد برقم (٥٦٩٦)وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ١٨١).

(٣)رواه البخاري كتاب: العلم، باب فضل العلم، برقم (٨٢) و مسلم ، كتاب: فضائل الصحابة، باب :من فضائل عمر رضي الله عنه رقم (٢٣٩١).

(٤)سورة البقرة:[١٢٥]

وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾[(١)] فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[(٢)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَوْمًا: وَاللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ رَجُلٌ أحبُ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ[(٣)] .

فعمر رضي الله عنه لما حصل القحط في عام الرمادة، ماذا فعل؟ وهو يعلم بأن الجسد الشريف، جسد النبي عليه الصلاة والسلام لا يزال محفوظًا في القبر، كما دُفن في كفنه من ذلك اليوم حتى يبعثه الله، وهو أول من يُبعث؛ لأن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء[(٤)]، فجسد رسول الله عليه الصلاة والسلام محفوظ كما هو، لكن هل ذهب عمر رضي الله عنه إلى القبر ليتوسل بذات النبي عليه الصلاة والسلام؟ لم يفعل (ذلك).

---

(١) سورة التحريم: [٥].

(٢)رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القبلة، ومن لم ير الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة ،. برقم (٤٠٢)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ،باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، برقم (٢٤ - (٢٣٩٩).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٧) ، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: ٥٩).

(٤) قال النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ» أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب:فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، برقم (١٠٤٧) والنسائي، كتاب: الجمعة، باب: إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة برقم (١٣٧٤)، وابن ماجه ،كتاب: الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ، (١٦٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٢١٢).

وعمرﷺ يؤمن أشد من إيماني وإيمانك بأن لرسول الله عليه الصلاة والسلام عند الله جاهًا عظيمًا أعظم من جاه موسى وعيسى المذكورين في القرآن، قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾(١)وقال في عيسى عليه السلام: ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾(٢).

فجاه النبي عليه الصلاة والسلام أعظم من جاههما؛ لأن الله أثبت مكانته وإمامته لجميع المرسلين في ليلة الإسراء والمعراج، عندما جمعهم في بيت المقدس وجعل وصلي بهم إمامًا وهم يقتدون به جميعًا (٣)، فلُقِّب بإمام المرسلين، وأفضلهم وخاتم النبيين، فجاهه أعظم من جاه جميع الأنبياء، ومع ذلك هل توسل عمر بجاه النبي عليه الصلاة والسلام؟ لا(لم يتوسل بجاه النبي ﷺ) وهل ثبت من جميع

---

(١)سورة الأحزاب[٦٩].

(٢)سورة آل عمران [٤٥].

(٣)عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط» ، قال: " فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب، جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا مُحَّد، هذا مالك صاحب النار، فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأني بالسلام " رواه مسلم كتاب: الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال برقم (٢٧٨ - (١٧٢)).

الصحابة التوسل بجاه النبي ﷺ؟ لا.

لا أتجاوز هذه النقطة؛ بل أقف قليلًا، **فرّق بين إنكار الجاه وبين إنكار التوسل بالجاه؛ بينهما فرق عظيم**: إنكار الجاه قد يؤدي إلى الرِّدة؛ لأن معنى إنكار الجاه: انتقاص النبي عليه الصلاة والسلام، وعدم احترام النبي عليه الصلاة والسلام؛ أيْ لا منزلة له عند الله، ولا مكانة له عند الله، وتلك رِدَّة؛ لكن إنكار التوسل بالجاه إنكارٌ للبدع، فرْق بين الأمرين، الذي ننكره ولا نزال ننكره التوسل بالجاه، ولا يجوز إنكار الجاه، الإيمان بجاه النبي ومكانته، ومنزلته عند الله من شعب الإيمان، لكن من أين جاءتنا هذه العبارة "بجاه نبيك، بحرمة نبيك" من أين جاءت (هذه) العبارات المستحدثة؟!.

انظروا ماذا فعل عمر رضي الله عنه لنتعلم -كما قلتُ- مِن عمر رضي الله عنه معنى التوسل بالصالحين، جمَع عمر رضي الله عنه الناس في ميدان وفيهم العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ، فقدَّم عمر رضي الله عنه مقدمة، وخطب خطبة وجيزة، فقال: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**»[1] قال للعباس: قم يا عباس، فأدع الله، فقام العباس فدعا الله، فأجاب الله دعوته وسقى العباد والبلاد.

هنا سؤالًا لابد منه؛ ماذا يعني عمر رضي الله عنه بقوله: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ**

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الجمعة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا برقم (١٠١٠).

بِنَبِيِّنَا» متى كان ذلك وكيف كان ذلك؟

كان ذلك في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام لما أصيب أهل المدينة بقحطٍ شديدٍ خافوا على أموالهم وأنفسهم وعلى طرقهم، فساق الله لهم أعرابيًّا من البادية، فجاء فدخل المسجد، ورسول الله عليه الصلاة والسلام يخطب خطبة الجمعة، ومشى الأعرابي بين الصفوف إلى أن وصل تحت المنبر، فرفع رأسه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: "يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل" ما الذي يأتي بعد هذا؟ قال: أغثنا!، أدركنا!، انظر إلينا بعين الرحمة ونحن هناك؟! هذا ما يتصوره جمهور المسلمين اليوم، إذا قالوا: يا رسول الله! ينتظرون أغثنا؛ لكن الأعرابي، أفقه من كثير من المتعلمين اليوم، ماذا قال الأعرابي؟ (قال):"يا رسول الله انقطعت السبل وهلكت الأموال ادع الله يغيثنا".

الأعرابي أفقه من أن يقول:" أغثنا يا رسول الله، قال:" ادع الله يغيثنا" يعلم الأعرابي أن الذي يغيث العباد ويجيب دعوة المضطر، هو الله وحده ولا إله غيره، ماذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام؟ يقول أنس راوي الحديث: "فرفع يديه وبالغ في الرفع إلى أن ظهر بياض إبطيه"؛ لأنهم كانوا يلبسون البُردة اليمنية لا يلبسون الثياب، - بُردة إزار ورداء - رفع يديه هكذا ظهر بياض إبطيه فبالغ في الرفع حتى ظهر بياض إبطيه، فجعل يقول: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**»، في بعض الروايات لم يزد على ثلاث مرات، يقول أنس: "فخرجت سحابة صغيرة مثل التُرس من وراء جبل سلع"، فيقول تعليقًا: "ليس بيننا وبين

جبل سلع دار" أيْ إن جبل السلع الذي تمر عليه وأنت ذاهب إلى سلطانة في طريق الجامعة الإسلامية على شمالك يظهر وأنت واقف عند مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام، فرأوا سحابة صغيرة مثل التُّرس تخرج من وراء الجبل وتتوسط السماء فتمطر حالًا، فرسول الله عليه الصلاة والسلام لا يزال يدعو وهو على المنبر، (حتى) نزل المطر وانتهت الخطبة وقضيت الصلاة وانصرف الناس من الصلاة إلى بيوتهم -كأني بهم يجرون في المطر — يتوقعون إن المطر يتوقف الليلة أو غدًا أو بعد غد، ولكنه استمر من الجمعة إلى الجمعة؛ فخافوا من شدة المطر على أموالهم وأنفسهم وطرقهم، يقول أنس راوي الحديث: "ودخل أعرابي من الباب نفسه، ومشى بين الصفوف حتى وقف تحت المنبر، قيل لأنس: هل هو الأعرابي الأول أو غيره؟ قال لا أدري"، (وهذا) ليس بمهم، المهم (أن الأعرابي) وقف تحت المنبر فرفع رأسه، فقال: "يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، ادع الله يرفعها عنَّا، فرفع النبي عليه الصلاة والسلام يديه: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»[1]. يقول الراوي: "كلما يشير النبي عليه الصلاة والسلام إلى جهة يقف المطر" فوقف حالًا (وهذا) من أعلام النبوة في أسبوعين متتابعين من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام.

(١)رواه البخاري،كتاب: الجمعة، باب: الاستسقاء في خطبة الجمعة، غير مستقبل القبلة، رقم (١٠١٤) ومسلم،كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

- لنربط القصة بالقصة — عمر ﷺ في عام الرمادة عندما قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا**» يشير إلى هذه القصة، انظروا ماذا فعل عمر؟ ترك قبر النبي عليه الصلاة والسلام لم يتوسل بذاته، ولا بقبره، ولا بجاهه، (مع أن جاه النبي ﷺ) ثابت عند عمر؛ ولكن طلب الدعاء من الرجل الصالح الحيّ حياة دنيوية.

والتوسل بالصالحين يعني أن تطلب الدعاء من الإنسان الصالح، رجلًا أو امرأة، من شخصٍ صالح فيما يبدو لك، حي حياة دنيوية لا (حياة) برزخية.

فرسول الله عليه الصلاة والسلام حياته الآن حياة برزخية، لا نعلم كُنهها، وإن كنا نؤمن أنها أفضل من حياة الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم(يرزقون) لأنهم لم يصلوا إلى تلك الدرجة إلا باتباع النبي عليه الصلاة والسلام.

وبعد من يريد أن يحقق هذه المسألة الجديرة بالتحقق؛ لأنها قضية عملية، عليه أن ينظر في كتاب [**التوسل والوسيلة**] للإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن نقل كلامه من بعده فليرجع إلى هذا الحديث بتمامه في صحيح البخاري[(١)]، وصحيح مسلم[(٢)] ليطلع على هذه القصص في كتاب الاستسقاء؛ لأننا إنما ننقل الأحاديث الصحيحة.

قبل أن أترك هذه القصة أضيف قصة أخرى يتعلق بها كثيرٌ من الناس وهي قصة حديث الأعمى، هل قصة الأعمى تخالف قصة الأعرابي؟ أبدًا، (ما

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

تخالفها).

يوجد في المدينة رجل أعمى في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، فتاقت نفسه لأن يردَّ الله عليه بصره، فقويت عزيمته وطمع في أن الله يستجيب لنبيه عليه الصلاة والسلام دعائه إن دعا له، وجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، لاحِظ أن الأعمى عندما يأتي إلى النبي عليه الصلاة والسلام ماذا يحتاج؟ يحتاج قائدًا، من يقوده ويأتي به، لنفهم فقه القصة، لو كانت القضية على مفهوم جمهور المسلمين اليوم، يجلس الأعمى الضعيف في بيته، فيقول: يا رسول الله رُدَّ لي بصري، أغثني، ولكن ذلك الأعمى كذلك الأعرابي لم يفعل ذلك، جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال:" يا رسول الله ادع الله ليرد لي بصري" افهموا أول القصة لنربط أول القصة بآخرها، لا يؤخذ كلمات ستأتي في القصة فيُتعلق بها؛ فنقول نفعل كما فعل الأعمى، قال الأعمى: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال: **إن شئت صبرت، فهو خير لك**، إشارة إلى أن من أخذ الله حبيبته أي عينيه وصبر واحتسب ليس له جزاء إلا الجنة(١)، لذلك قال له: «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». **قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي**

---

(١) عن أنس بن مالك ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: " إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنة " رواه البخاري، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره برقم (٥٦٥٣)

تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»[١].

الإنسان دائمًا يحب النعمة العاجلة، فعلَّمه النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن يقدم عملًا صالحًا بين يدي الدعوة، أمره أن يذهب إلى الميضأة، فيتوضأ، فيدعو بدعاء لقَّنه له رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّي مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ تَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي، شَفِّعْهُ فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي»[٢].

ماذا تفهم من هذا الدعاء؟ (إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ) أي: طلب منه الدعاء، هذا معنى التوجه، **توجه به إلى الله: طلب منه الدعاء**، وهل لو أراد أعمى اليوم أن يقول: اللهم إني توجهت إليك بنبيك، هل هو صادق؟ لا، متى توجه به؟ هل طلب منه الدعاء؟ (توجه به في حياته).

إذن هذه لا تنطبق إلا لمن حضر عند النبي عليه الصلاة والسلام، فطلب منه الدعاء.

۞**خلاصة القصة** كالقصة التي ذكرناها في قصة الاستسقاء من الأعرابي لا فرق

---

(١)رواه الترمذي، كتاب: الدعوات عن رسول الله ﷺ،باب رقم(٣٥٧٨) وقال:"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ" وابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم (١٣٨٥) والنسائي في السنن الكبرى رقم (١٠٤٢١) والحاكم في المستدرك رقم (١٩٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم(١٢٧٩).

(٢) سبق تخريجه

بينهما، أيْ إنما وقع التوسل في القصتين بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام، لا بذاته ولا بجاهه عليه الصلاة والسلام، ارجعوا لمعرفة ذلك إلى كتب السنة والحديث في الترمذي(١)، وتكلم عليه شيخ الإسلام في [**التوسل والوسيلة**].(٢).

ومن هاتين الواقعتين ومن هذا السياق نعلم أن جمهور المسلمين جهلوا لغة الصحابة في معنى التوسل واستعمالهم، فغيروا الحقائق، فغلو في الصالحين، فدعوهم من دون الله واستغاثوا بهم ثم قالوا: إنما نتوسل بهم بل! قالو: هذه من محبة الله. جهلاً منهم أو تجاهلاً، و لعلنا لا نختلف في وجه خطأ هذا الاتجاه بعد أن عرفنا معنى التوسل في الحديثين السابقين.

ومن المعلوم ضرورة أن الأسماء لا تغير الحقائق فالخمر خمر طالما تسكر ولو سميت ماء عذباً أو لبناً خالصاً سائغاً للشاربين أو عسلاً مصفي .

فالدعاء والاستغاثة والذبيحة والنذر عبادة ولو سماها أهلها توسلاً أو تبركاً أو محبه للصالحين.

وهكذا يتم الجواب على السؤال الأول القائل: كيف كانوا يتوسلون بالنبي عليه الصلاة والسلام في حياته؟

لننتقل إلى الجواب على السؤال الثاني وهو: **لماذا عدلوا عن التوسل به بعد وفاته فصاروا يتوسل بعضهم ببعض؟** كما رأينا في قصة عام الرمادة .

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة الفصل الثالث.

وملخص الجواب على هذا السؤال كالآتي :

أولاً : ورود السؤال بهذه الكيفية وبهذه الصيغة يدل على تصور معنى التوسل في لغة الصحابة وعرفهم كما قلنا آنفاً .

ولو كان السائل تصور معنى التوسل بالنبي ﷺ في قول عمر السابق الذكر لأراح نفسه وأراحنا معه، وهو طلب الدعاء منه عليه الصلاة والسلام وأنه ليس بإمكان أي أحد أن يذهب إلى الرسول بعد وفاته؛ ليشكو إليه حاله من القحط والمرض وذهاب البصر؛ ليدعوا الله كما كان يفعل ذلك في حياته في الدنيا؛ لأن الحياة البرزخية التي انتقل إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يعلم حقيقتها إلا الله.

ولذا عدلوا عن التوسل به عن طلب الدعاء منه؛ إلى طلب الدعاء بعضهم من بعض كما فعل عمر ﷺ مع عم النبي ﷺ العباس بن عبدالمطلب؛ ولأن التوسل لم يكن بجاهه وكرامته ومنزلته عند الله كما زعم بعض الناس، ولو كان الصحابة يعلمون أو يعتقدون أن التوسل انما هو بجاهه ومنزلته وكرامته على الله لما عدلوا عنه؛ لأن جاهه ومنزلته وكرامته على الله لم ينقص من ذلك شيء بوفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

(فالنبي ﷺ سيد البشر جميعا) وأفضلهم على الإطلاق وإمامهم، وقد صح عنه

عليه الصلاة والسلام أنه قال : «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[١] ، وقال صلى الله عليه وسلم : «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**»[٢].

ولكن الله لم يجعل جاه أحد من خلقه سبباً لقضاء الحاجات وكشف الكربات وإجابه الدعاء، ولا يكون سبباً لهذه المعاني وغيرها إلا ما جعله الشارع(سبباً) ودل عليه العباد.

هذا هو السر الذي جهله كثير من الناس وتجاهله الآخرون تحت تأثير الهوى والتقاليد، حتى وجهوا صريح العبادة لله لعباده باسم التوسل وأحيوا بذلك حياة الجاهلية من حيث لا يعلمون والله المستعان. إذ لا معنى لقول القائل : اللهم أجب دعوتي؛ لأن فلاناً رجل ذو جاه عندك وذو منزله وكرامة.

فلا علاقة بين جاهه وإجابة دعاء هذا القائل؛ لأن جاهه ليس من عمله؛ وإنما يتوسل الإنسان بعمل نفسه أو بدعاء غيره.

والصواب في هذه النقطة أن يقول المتوسل : اللهم إني أدعوك وأتوسل إليك بإيماني بنبيك مُحَمَّد ومحبتي له واتباعي لسنته عليه الصلاة والسلام؛ لأن الإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام ومحبته واتباع سنته من أعظم الأعمال واوجهها

---

(١)رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن باب: ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٧ - (١٩٤) .

(٢) رواه الترمذي، كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب،برقم (٣٦١٥) ، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ذكر الشفاعة، رقم (٤٣٠٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٨).

وانفعها عند الله .

ومن توسل إلى الله ودعا الله بهذه الأعمال، فقد توسل إليه بأحب الأعمال وأعظمها عند الله .

ومن الخطأ – وأحسبه متعمداً – أن يظن بأن منكر التوسل بالجاه، هو منكر للجاه نفسه – ما أسوأ من ظن هذا– إذ بين الإنكارين فرق كبير وبون شاسع، فإنكار التوسل بالجاه إنكار للبدعة، وإنكار البدع شعبه من شعب الإيمان؛ لأنه من باب إنكار المنكر .

وأما إنكار جاهه عليه الصلاة والسلام فشعبه من شعب الكفر؛ لأن إنكار جاهه عليه الصلاة والسلام، ومنزلته عند الله يعني انتقاصه عليه الصلاة والسلام وذلك ردة عن الإسلام – عياذاً بالله–لأنه يتنافى والإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام، وذلك الإيمان الذي يعبر عنه حبه وتوقيره واتباع سننه، إذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1].

وقد سلك هذا المسلك كثير من المغرضين وأعلنوا للعامة الأغمار أن الذين ينكرون التوسل بجاه النبي؛ إنما يفعلون ذلك؛ لأنهم يكرهون النبي عليه الصلاة والسلام.

(١)رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم (١٥) ، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد رقم (٤٤).

ما أعظمها من فرية – وهي مغالطة ساخرة ورخيصة يترفع عنها كل مسلم منصف يخاف الله ويراقبه ويحاسب كلامه وأعماله . وإنما يتورط في هذه الفرية ويهبط إلى هذا المستوى بعض المغرضين الذين يضحكون على عقول العوام غاشين غير ناصحين ويفسرون لهم محبه الرسول بالاستغاثة به ودعائه من دون الله أو مع الله .

والتوسل بجاهه وإقامة المولد له عليه الصلاة والسلام تلبيساً منهم على العوام وكتماناً للحق، وهذا الصنف من الناس هم حجر عثرة في سبيل الدعوة والدعاة هداهم الله وألهمهم رشدهم .

ومما يزيد المقام وضوحاً ويقطع دابر تلك الأوهام التي لا تزال عالقة بأذهان بعض العوام وأشباه العوام من أن الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو للناس بعد موته ويتوسل به بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ومما يقطع دابر هذه الأوهام، حديث عائشة ﵂ انها قالت ذات مرة وهي مريضة:"وارأساه" فقال رسول الله ﷺ «**ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ**» [١] أي إن متِ وأنا حي سأستغفر لك. وذلكم هو لفظ الحديث وهذا معناه واضحاً جلياً وبه فسر الحافظ بن حجر[٢] ثم ساق رواية أخرى توضح معنى الحديث أكثر فأكثر وملخصها هكذا « **أما يرضيك لو مت قَبْلِي حتى**

---

(١) باب قول المريض: " إني وجع، أو وارأساه، أو اشتد بي الوجع برقم (٥٦٦٦).

٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٢٥).

أكفنك وأصلي عليك وأدفنك وأدعو لك» [(١)]**«مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ؟** » ومفهوم الحديث : أما لو مت أنا قبلك فليس في إمكاني أن أفعل كل ذلك . وهذا معنى لا يختلف فيه اثنان من طلاب الحق .

ثم أن عدول الصحابة عن التوسل به ﷺ بعد وفاته يدل أيضاً على أن التوسل به لم يكن بالذات، إذ لو كان كذلك لما عدلوا عنه؛ لأن جسده الشريف لم يزل ولن يزال محفوظاً في قبره إلى يوم البعث؛ لأن الله حرم على الأرض أن تأكل جسد الأنبياء كما ثبت ذلك عن رسول الله عليه الصلاة والسلام عند الترمذي وغيره[(٢)]"[(٣)].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .



---

(١)) رواه ابن ماجه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في غسل الرجل امرأته، وغسل المرأة زوجها،برقم (١٤٦٥) و أحمد برقم (٢٥٩٠٨) وصححه الألباني في إرواء الغليل(٣/ ١٦٠) برقم(٧٠٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣)الرسالة الثانية من رسائل الجامي: تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة(ص:١٠٠).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:.

فهذا كتيب مختصر جمع فيه مؤلفه بين الأصالة والاستدلال وبين البساطة في الطرح والعرض بما يوافق جميع مستويات الفهم، وبما أنه موضوع يشغل بال شريحة كبيرة من المجتمع المسلم، حتى من بعض طلبة العلم، وحيث إن المؤلف توفي قبل أن يخرج دروسه ككتب للقارئ الكريم، فقد شرفت لجنة العناية بموروث الشيخ العلمي بهذه المهمة، ورأت أن تخرجه في رسالة صغيرة وتضيف إليه بعض الزيادات مما جاء في ثنايا رسائل الجامي حتى يتجلى المعنى الشرعي للتوسل والوسيلة ويطلع على الفوائد الجمة التي جاءت في ثنايا هذا الشرح للقارئ الكريم.

واللجنة تسأل الله عز وجل أن يجعل ثواب كل حرف من هذا الكتاب في ميزان حسنات مؤلفه وأن يرفع له درجاته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجميع علماءنا وأن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى ووالدينا وجميع المسلمين على سرر متقابلين. اللهم آمين.



فهرس